

العلمانية الغربية، ووجهات النظر العالمية الافريقية، والكنيسة

ديك سيد Dick Seed* (dssaintfrancis@yahoo.com)

منظمة الكنائس المؤسسة في افريقيا، كينيا

Organisation of African Instituted Churches (OAIC), Kenya

جمعية إرسالية الكنيسة (CMS) Church Mission Society

يصف اللاهوتي الافريقي، جون مبيتي John Mbiti، الأفارقة بأنهم "مُتدينون بشكل ملحوظ".^١ وهو يشير عن طريق استخدام تلك التسمية إلى صفات المجتمع الافريقي بغرض العثور على إجابات لأسئلة تدور حول الحياة في العالم الروحي والسرّي. وعلى الجانب الآخر، فإن العلمانية هي النقيض التام لذلك. واستخدم جورج جيكون هوليوك George Jacob Holyoake هذا المصطلح عام ١٨٤٦ ليصف فلسفة حياتية نظمت الحياة عن طريق التجربة العملية والعقل وسعت إلى التقدم البشري من خلال الخدمة.^٢ وكونها وجهة نظر عالمية فهي تعثر على إجابات للأسئلة التي تدور حول الحياة، في هذه الحياة. وفي عالم العولمة الحديث، يتم تصدير المبادئ والقيم النظرية للعلمانية، كفلسفة حياتية، لإفريقيا وبالتالي يحدث تحدي لوجهة النظر السائدة. وهذا هو سياق إرسالية الكنيسة في افريقيا. وسوف يبحث هذا المقال في بعض القضايا

* ترجمة سامح رهيف.

Originally published as: Dick Seed, "Western Secularism, African Worldviews, and the Church," *Cairo Journal of Theology* 2 (2015): 76-87, <http://journal.etsc.org>.

- 1 John, Mbiti, *African Religions and Philosophy* (Oxford: Heinemann, 1969), 1.
- 2 George Jacob Holyoake, *The Principles of Secularism*, Gutenberg Project, <http://www.gutenberg.org/files/36797/36797-h/36797-h.htm> (accessed November 24, 2014).

حتى تتعامل معها الكنيسة، والتي تنشأ نتيجة للعلاقة الجدلية بين وجهات النظر العالمية الإفريقية وبين العلمانية البشرية الغربية.

العلمانية هي نظام فلسفي غربي

انطلاقاً من أبسط المستويات، فإن مصطلح علماني يعني ببساطة أن تهتم بشؤون هذا العالم بأسلوب يختلف عن أسلوب القداسة أو الرهبنة أو الأسلوب الكنسي. إن العلمانية هي عملية إعادة تفسير الحياة. إن الإجابات الروحية على الأسئلة الحياتية تمنح طريقاً للإجابات المبنية على السبب والنتيجة القابلين للملاحظة. وفي زمن ما، كان يظن الناس أن مرض السل يحدث عن طريق امتصاص شخص ما لحياة شخص آخر عن طريق السحر. لكن اليوم تم التعرف على المرض بوجود بكتيريا السل والتي يمكن علاجها عن طريق المضادات الحيوية. فكما ينمو الفهم البشري للآليات الفيزيائية في العالم، كلما يُزاح الغموض عن الحياة بشكل متزايد وبالتالي تزداد العلمانية.

إلا أن العلمانية أكثر من مجرد علمية إزالة للغموض. فهي تقدم بشكل واسع الانتشار، في شكلها كفلسفة – والتي عادةً ما يُطلق عليها الإنسانية العلمانية، الهوية الدينية والثقافية للمجتمع الغربي.³ وقد وُلدت هذه الفلسفة من رحم أفكار فلسفية غربية والتي تنص على أن البشرية حرة ومستقلة ووصلت لسن الرشد.⁴ إنها تبني قيمها وآراءها على ما يُمكن إخضاعه للتجربة في هذه الحياة. لذا فمهموم الله غير ضروري في العلمانية. فالبشرية تحيا الآن فقط خارج هذه الحياة، ووفقاً لها ونحوها، والتي يُنظر لها على أنها نظامٌ بيولوجيٌّ وماديٌّ مُغلقٌ ومُكتفٍ ذاتياً. ولاتزال الأخلاق في الإنسانية العلمانية محتفظة ببقايا القيم المسيحية لكن هل قصت العلمانية الأخلاق المسيحية من لاهوتها.⁵ وفي عالم الاتصالات العالمية، فإن ميزة القوة التي منحتها التكنولوجيا ومنحتها التطور للغرب يُمكنه من تصدير هذه القيم لإفريقيا عن طريق عدة قنوات:

- 3 Graeme Smith, *A Short History of Secularism* (London: L. B. Tauris, 2008), 7.
- 4 B. J. van der Walt, *Transforming Power: Challenging Contemporary Secular Society* (Potchefstroom: ICCA, 2007), 298.
- 5 Smith, *A Short History of Secularism*.

ديك سيد: العلمانية الغربية، ووجهات النظر العالمية الأفريقية، والكنيسة

جدول أعمال الهياكل السياسية الغربية. ترتبط المعونة الغربية بالفلسفة العلمانية. ويرتبط الدعم بتحقيق أهداف جدول أعمال الإنسانية العلمانية، مثل مناصرة الإجهاض.

النظام التعليمي. لقد حدث اقتباس كامل داخل النظام التعليمي المُفدّم في افريقيا اليوم، سواء كان حكومياً أو خاصاً، من القوى الاستعمارية الغربية لدول مثل فرنسا وبريطانيا والبرتغال ويتحكّم فيه بعض الافتراضات والمُسلّمات، والتي يمكن اقتفاء أثرها وصولاً إلى فكر العلمانيين الإنسانيين مثل ديوي Dewey.

النمو السكاني والتقدم التكنولوجي. كانت هناك قناعات في الماضي تُخصّ تكامل الطفل الافريقي في المجتمع. وكان هذا التكامل يتم من خلال عملية التواصل الاجتماعي للثقافة. وكان حماة هذا التواصل الاجتماعي هم الراشدين. ولكن هذه القناعات انقلبت رأساً على عقب. ففي جنوب الصحراء الافريقية يعتبر ٤٠% من تعداد السكان أقل من ١٤ عام. ويختبر هؤلاء الأطفال نوعين من التطوّر. أولهما هو التحوّل الافريقي السريع في استخدام التكنولوجيا. وثانيهما هو المستويات الجديدة من الازدهار المادي. ويُغذّي هذا الازدهار الشعور بالراحة والتبرؤ من القضايا الروحية التي سادت في الماضي. إن التحدي الذي تضعه العلمانية على الكنيسة ذو شقين. الأول هو إعداد الكنيسة الافريقية للرد على العلمانية كعملية حتمية تتبع النمو التكنولوجي وارتفاع مستويات المعيشة. والثاني هو الإدراك بأن العلمانية هي القوى الاستعمارية للفكر الغربي. ويتطلّب كلا الأمرين استجابةً لاهوتيةً من الكنيسة.

القيم الافريقية كنظام فلسفي

سوف تتشكّل الاستجابة الافريقية للعلمانية بقيم وجهة النظر العالمية الافريقية. وسوف نحاول وصف بعض سمات هذا الأمر.

رغم انتشار المسيحية كديانة عظمية في افريقيا، إلا أن الثقافة الافريقية تتميز بسماتها الخاصة. هذه السمات كانت واضحة في هيكل الديانات الافريقية لكنها اليوم تستمر في التأثير على الاستجابة الافريقية نحو المسيحية والعلمانية. ففي فكر الثقافة الافريقية، يُنظر إلى الوجود ككلٍ متكاملٍ لا يتجزأ. فهناك "قوة حيوية" أساسية تحرك جميع البشر وتحرك الطبيعة أيضاً. ويرتبط كلٌّ من البشر

والطبيعة معاً بعلاقة رمزية. وتمتد هذه العلاقة إلى العالم الروحي. وينظّم الكيان الإلهي البشرية والعالم ويدمجهما معاً. وفي القيم الدينية التقليدية، يعتبر الأسلاف جزءاً من الكل. ويتواجدون في علاقة رمزية مع الأحياء كخُماة للمجتمع أو كوسطاء بين الأحياء والأموات. إنهم يتوسطون الهوية الاجتماعية للأحياء ويؤثرون، بالاشتراك مع العديد من الأرواح ومع الكيان الأعلى، في رفاهية ورخاء الفرد أو الجماعة.

ويَزعمُ جون بوبيه John Pobee أن هناك ثلاثة مبادئ رئيسية تحكم الطريقة التي ينظر بها الأفارقة إلى العالم.

١. يتمتع الشخص الأفريقي بأنطولوجيا دينية عميقة، والتي تُشكّل متصلاً متكاملًا، حيث يُدرج عالم الأحياء ويُخضع لعالم الروح.
٢. تتمتع الهوية الأفريقية ووجهة النظر العالمية الأفريقية بروابط قوية للغاية. فيقول الشخص الأفريقي: "أنا موجود لأنني أنتمي لعائلة".
٣. يتسبب إحساس الإنسان بالمحدودية والضعف والفناء إلى اعتقاد العديد من الأفارقة في قوة السحر والكاننات الفائقة.^٦

سمات وجهات النظر الأفريقية نحو العالم

يمكن ادراج قيم وجهة النظر العالمية الأفريقية باختصار كما يلي:
كونٌ يتحدُّ في الفرد. ثمة علاقةٌ قويةٌ بين الديانات الأفريقية وبين وجهات النظر العالمية الأفريقية. فالديانة تؤثر في النظرة العالمية والنظرة العالمية تؤثر في الديانة. ويتسم كلاهما بالكمال الكوني. وهناك تمايز ضئيل بين المقدس والعلماني، بين الطبيعي وفوق الطبيعي.^٧ فالعالم الشخصي لا يمكن فصله عن الذات، والذات لا يمكن فصلها عن المجتمع، والمجتمع لا يمكن فصله الكيان الإلهي.^٨

6 J. S. Pobee, *Towards an African Theology* (Nashville, TN: Abingdon 1979), 43–45.

7 Nelson Mandela, *Long Walk to Freedom* (London: ABACUS, 1994), 12.

8 Constantine M. Mwikamba, "Search for an African Identity," in *Social and Religious Concerns of East Africa: A WAJIBU Anthology*, ed. G. J. Wanjohi and G. W. Wanjohi (Washington, DC: Council for Research in Values and Philosophy, 2005).

ديك سيد: العلمانية الغربية، ووجهات النظر العالمية الأفريقية، والكنيسة

إن موضوع هذه الوجدانية هو البشرية وليس العالم الروحي.⁹ فخلفت هذا الكون تقبع قوة، يتم إطلاقها بغرض رقاء البشرية ورفاهيتها. ويُطلق عليها في بعض السياقات: "الحياة الجيدة"، والمقصود بها حق الفرد في الصحة، والثروة، والرخاء وطول العمر. وعندما تتعرض للتهديد، فيتم افتراض أن شخصاً ما أو شيئاً ما قد سلب "حياتي الجيدة." والشخص الذي يشكّل الحلقة هو الذي يحوي قوى الكون في وحدة. وكان الكون بأسره وُجدَ خدمةً للإنسان.¹⁰ والبليّة تحدث نتيجة اضطراب في التدفق الكوني. وقد يحدث هذا الاضطراب عندما يسلبني أحدهم القوة من خلال أساليب روحية أو عند استيلاء القوى الروحية.

إن الوحدة والكمال في الكون، واللذان لا يفترقان بين العلماني والروحي أو الآخر الإلهي، يصلان إلى غايتهما في الوجود البشري.

الزمن هو الحاضر. تنظر وجهة النظر العالمية الأفريقية إلى الزمن على أنه الحاضر الدائم الذي لا جدال فيه. ويتم التشديد بشكل أكبر على الماضي أكثر من المستقبل. فالمستقبل محدود ولا يمتد بالقدر الكبير لما هو بالضرورة واقعاً لا يُسبر غوره. وهذا الواقع المُختبر الحالي ليس ما يسبقه ولا ما يلحقه، وبداخله تعتبر الحالة المثالية للأمور هي التكرار غير المحدود للماضي. ويرتبط مفهوم التقدم مع الماضي بشكل وطيء. لذا فإن التقدم، في سياق وجهة النظر العالمية هذه، هو في الأساس إدراكٌ جليلٌ بعَيْنِهِ للمراحل التي وصل إليها السابقون.¹¹

المجتمع. إن العلاقة عبارة عن مبدأ تفسيري هام للغاية في خلق التفاهم. وتعتمد على المنطق وبالتالي فإن العلاقة بين الجماعة والفرد هي أساس فهم الذات وأساس الهوية. ويصف ديزموند توتو Desmond Tutu خصائص هذه العلاقة في كلمة *ubuntu*.¹²

تسلسل القيادة الهرمي. لاحظ علماء النفس الاجتماعيون أن المجتمعات الأفريقية يظهر عليها هيكلًا هرميًا قويًا حيث تتمركز القوة الاجتماعية في قلة

9 John S. Mbiti, *Introduction to African Religion* (London: Heinemann Educational, 1975), 33–36.

10 Betsie Smith, "Worldview and Culture: Leadership in Sub-Sahara Africa," *New England Journal of Public Policy* vol. 19, no. 1 (2003): 246.

11 Smith, "Worldview and Culture," 253.

12 Tutu Desmond, *No Future Without Forgiveness* (New York: Doubleday/Random House, 1999), 31.

من الناس. وتشبع فكرة القيادة القوية، حيث تصبح حالة القوة وإنقاذ ماء الوجه قيمتان هامتان. ويقدم لنا سميث Smith وصفاً نافعاً وجيداً للقيادة التقليدية كونها مُستمدّة من الحالة الاجتماعية والنسب وبعيدة بعض الشيء عن الوظيفة والمواصفات الشخصية أو الاستحقاق.¹³ وتستمر نماذج القيادة القوية في تمييز أساليب القيادة.

وجود قيم وجهة النظر العالمية الأفريقية في إفريقيا المعاصرة

تُستمد العديد من الحوارات المتعلقة بالقيم الأفريقية من اللاهوتيين والمفسرين عن طريق الإشارة إلى الماضي وإلى الديانة التقليدية الأفريقية. وهناك سؤالٌ إضافي في مناقشتنا وهو مدى تغلغل القيم المُستمدّة من وجهة النظر العالمية الأفريقية داخل الحاضر.

وحتى نتعرّف على كيفية تأثير وجهة النظر العالمية على الفكر والسلوك، فسوف ننقل إلى عالم علماء النفس الاجتماعيين وعلماء النفس المختصين بدراسة ما عبر الثقافات الذين انشغلوا بفهم الاختلافات الثقافية في السياقات الاجتماعية. وفحص خيرت هوفستيد Geert Hofstede (1983) ثقافة الحركة التجارية داخل السياقات القومية وتعرّف على ستة أبعاد حيث يمكن من خلالها تحليل القيم الثقافية. وهي كالتالي: بُعد القوة، تجنب عدم اليقين، الفردية مقابل الجماعية، الذكورة مقابل الأنوثة، التوجّه طويل الأجل مقابل التوجّه قصير الأجل والتساهل في مقابل ضبط النفس.¹⁴

وأدرج هوفستيد عدة أمم أفريقية في هذا البحث.¹⁵ ورغم أن اهتمامه الرئيسي لم يكن مُنصباً على طبيعة وجهة النظر العالمية الأفريقية، إلا أنه قدم وصفاً للثقافة التجارية الأفريقية في الشركات متعددة الجنسيات. وتمثل هذه الشركات بعض الأفارقة الذين يتمتعون بتواصلٍ شديد مع العلمانية. وتشير نتائجه إلى وجود نفس القيم في المجتمع الأفريقي المعاصر كالتي تم التعرف عليها في القسم السابق. وعادةً ما يتم هيكلية المجتمع التجاري الأفريقي بحسب القيم الهرمية؛ ثمة تباعدٌ بين مَنْ هم في السلطة ومَنْ هم خارج السلطة؛ ويظهر

13 Smith, "Worldview and Culture," 248.

14 Geert, Hofstede, Gert Jan Hofstede, and Michael Minkov, *Cultures and Organizations: Software of the Mind*, 3rd ed. (New York: McGraw-Hill, 2010).

¹⁵ البيانات الأولية متاحة على <http://geert-hofstede.com/kenya.html>

ديك سيد: العلمانية الغربية، ووجهات النظر العالمية الأفريقية، والكنيسة

هذا التسلسل الهرمي في التمييز بين أدوار الذكور والاناث؛ وهذا بدوره يخضع لإدارة الاهتمام الطائفي والعلائقي للمجتمع الذي يقدر التنشئة أكثر من الإنجاز؛ والجماعة هي قلب النظام الاجتماعي وليس الفرد وهي التي تحدد الهوية وتضغط المفاهيم الثقافية للزمن على الحاضر وتتمتع بتوجيه قصير المدى. وبناءً على هذا البحث، يتضح أنّ هناك تشبّهًا ما عندما يتعلّق الأمر بقيم النظرة العالمية. ولا تزال وجهات النظر العالمية الأفريقية المعاصرة تعكس العديد من القيم الجوهرية للمجتمع الأفريقي التقليدي. ولا ينبغي الاندهاش من أمر كهذا لأن الاستمرارية والهوية يسيران جنبًا إلى جنب. وينبغي الأخذ بعين الاعتبار لوجود مثل هذه القيم، ولتأثيرها على الكنائس التي بدأت في تقبل العلمانية. إلا أننا نخطئ عندما نستنتج، بسبب وجود مثل هذه العلمانية المحافظة، أننا سنكون بلا تأثير في أفريقيا وبالتالي فهذه قضية لا تخص الكنيسة.

كيف تُستنزف العلمانية في أفريقيا؟

بينما ندرس تأثير العلمانية على الكنيسة الأفريقية، وجبّ لفت الانتباه لمنطقتين تتمتعان باهتمام خاص. تبرز الأولى من إرسالية الكنيسة نفسها وتظهر الثانية من الموضوعات الموجودة في النظرة العالمية الأفريقية. وكلاهما يقدمان خطافات تتصل بقيم العلمانية.

منطقة الاهتمام الأولى هي الأرض المشتركة بين الإنجيل ورسالة العلمانية. فالعلمانية جذابة للغاية للطبيعة البشرية. فهي تهتم بتطوير الذات للوصول لأقصى تحقيق للذات. وهي تتمتع بمظهر الصلاح حيث أنها ترى إرساليتها في خير البشرية في حد ذاتها وفي خلاص كوكب الأرض. وتُعبر الكثير من المصطلحات المسيحية عن نفس الأهداف. وعلاوة على ذلك، إذا كانت العلمانية مجرد تبنّي للأخلاق المسيحية دون اللاهوت، فإن الكثير من جداول الأعمال الإنسانية سوف تتوازي في صداها مع القيم المسيحية.

أما منطقة الاهتمام الثانية فهي الأرض المشتركة بين قيم العلمانية ووجهات النظر العالمية الأفريقية. قد نكون معذورين إذا ظننا أن فلسفة العلمانية تتمتع بمقدار ضئيل من الأرض المشتركة مع الحقائق الروحية الموجودة في وجهات النظر العالمية الأفريقية. إلا أن المجتمعات الأفريقية ليست سلبية أو مُتكاسلة في

انفتاحها للتيارات الثقافية العالمية، بل متجاوبة بدهاء.^{١٦} وعلى الرغم من أن بعض القيم قد تبدو غريبة على أن تتقبلها النظرة العالمية الحالية، إلا أن هناك قيمًا أخرى تُثبت جدارتها أو يتردد صداها مع القيم الحالية وبالتالي تتأقلم مع النظرة العالمية. وسوف نفحص باختصار كيف يستطيع جدول الأعمال العلماني، رغم تقديمه لفلسفة حياتية مغايرة تمامًا، أن يسكن في النظرة العالمية الأفريقية.

عملية تحوّل نشاط الإرسالية المسيحية إلى العلمانية

في سفر التكوين، نجد عنصرًا علمانيًا أو تبسيطيًا في السرد القصصي. فسفر التكوين يقاوم معتقد الديانات الشرق أوسطية القديمة الذي يقول بأن الله قام بتلاعب عاطفي واستطاع اختراق الخليفة.^{١٧} إن الله فوق الخليفة ولا يخرقها إلا من خلال أعمال إعلانه الذاتي المُتعمّدة في تاريخ الكلمة والعالم. إن الله والإنسان والخليفة (المؤقتة والروحية) لا يُشكّلوا مُتصلاً دائريًا لكنهم يتميزون عن بعضهم البعض حيث تخضع كل جوانب الخليفة للخالق. ولا يمكن للإنسان أن يصل الله عن طريق الخليفة بل عن طريق الكلمة الإلهية للتواصل والعلاقة. هذه هي ديناميكية سفر التكوين، ف عوضًا عن الوصول إلى الله في أو عن طريق الخليفة، يتم الوصول للخليفة في أو عن طريق الله. ويستمر هذا التمايز الجوهري، الذي يفرّق بين الإنسان والخليفة والله، كتحدٍ أينما تواجه المسيحية ديانات متعددة الآلهة أو وجودية أو أرواحية.

ويؤكد تشارلز كرافت Charles Kraft أن الكنيسة قد تحولت إلى الأفكار العلمانية كما تتعامل مع القوة الروحية وبالتالي كان لها تأثير علماني. وفي سعيها لتقديم المساعدة للكراسة المسيحية عن طريق كسر قوى العالم الروحي، تحولت الكنيسة إلى الطب، وهو نظام تعليمي تأسس على المبادئ العلمانية،

16 Gregg A. Okesson, "Sacred and Secular Currents for Theological Education in Africa," *African Journal of Evangelical theology* 1 (2007): 26.

١٧ من أجل الحصول على فحص كامل انظر:

G. J. Wenham, *Genesis 1-15*, Word Biblical Commentary 1 (Waco, TX: Word Books, 1987): xlv-1.

ديك سيد: العلمانية الغربية، ووجهات النظر العالمية الأفريقية، والكنيسة

وتبني العلم في الزراعة. ومن خلال كل ما سبق، نجدها قد أجابت على الأسئلة الروحية بإجابات علمانية وبالتالي عززت العلمانية.¹⁸

والتحدي الثاني هو تكيف لاهوت قطاعات عديدة في الكنيسة الغربية مع القيم العلمانية للتنوير. وكانت إحدى مساهمات ديفيد بوش David Bosch للاهوت الإرسالية هي التعرف على الطريقة التي تغلغت بها فلسفة التنوير الغربية إلى فهم طبيعة ومهمة الإرسالية.¹⁹ لقد بحثت الكنيسة بشكل متزايد في جدول أعمال الإنسانية العلمانية والمنتديات الإنسانية والسياسية الدولية حتى تُعرّف إرسالياتها. وتغلغت هذه القيم في الكنيسة الأفريقية من خلال هيئات التمويل الغربية للإرسالية ومن خلال الدارسين العائدين إلى أفريقيا والذين استكملوا دراستهم في مؤسسات يسود عليها جدول الأعمال هذا.

وثالث توجه لاهوتي متصل بموضوع النقاش هو طريقة فهم مبدأ الإرسالية. فقد تبنت الكنيسة نموذجًا تطوريًا للإرسالية بعد صدمتها الاتهامات بأن الإرسالية كانت روحية للغاية أو ثنائية وتجاهلت الآثار الشمولية لملكوت الله. واستمر الميل للبحث عن إجابات علمانية للأسئلة الروحية، وعادة ما يكون هناك اختلاف ضئيل بين برامج التطوير الكنسية وبرامج التطوير الخاصة بالمؤسسات العلمانية غير الحكومية.

القيم الأفريقية التي يتردد صداها مع القيم العلمانية

ننتقل بالحديث الآن إلى المتلقين بداخل وجهات النظر العالمية الأفريقية. ويمكننا تسمية هؤلاء بـ false friends ("الأصدقاء الكذبة"). فيوجد على السطح قياسًا للاستمرارية بينهم وبين العلمانية. ويبدو عليهم أنهم يقولون نفس الشيء، لكن تظهر الخلافات على مستوى أعمق. وجاري استكشاف بعضها

علمانية الدين العالمي. أشار هارولد تيرنر Harold Turner أنه توجد قليل من المقابلات مع الله أو لا توجد مقابلات فورية معه في معظم الديانات التقليدية الأفريقية.²⁰ ويصبح العالم من حولنا قربان عبادتنا. ويتناول كل من

18 C. H. Kraft, ed., *Appropriate Christianity* (Pasadena: William Carey Library, 2005), 365.

19 David J. Bosch, *Witness to the World: The Christian Mission in Theological Perspective* (London: Marshall, Morgan and Scott, 1980), 38–40.

٢٠ مُشار إليه في:

شورتر Shorter وأونيانشا Onyyancha الحديث عن علمانية الدين العالمي.²¹ عندما يتعرّف الجسدي والمادي على الروح، وقتها يصبح الروح هو العالم المادي ويحدث تشويش في التمايز بينهما. وفي الفكر الإفريقي التقليدي، ينبغي تقدير قيمة العالم الحيوي كونه جزءاً لا يتجزأ من العالم الإلهي.

وفي العلمانية، يستند تقدير قيمة الطبيعة على النظر للإنسان من منظور كونه أحد مستجدات التطور. وكما يأخذ المرء دوره الحقيقي يجب أن يعمل مع العالم الحيوي بهدف الحفاظ عليه. فالاستدامة والحفاظ على ما هو كائن هما مفهومان رئيسيان. وينبغي أن تحترم البشرية هذا العالم كما هو، لا أكثر أو أقل من ذلك. والتقليل من شأن الخليقة هو تقليل من شأن البشرية.

وفي كلتا الحالتين، ترتفع أهمية العالم المادي الجسدي. ورغم الاختلاف الشديد، من الناحية الفلسفية، في سبيل تقدير قيمة المادي والحيوي بين النظامين، إلا أن الناتج هو أمر يردد صداه كلٌّ بطريقته.

الطبيعة الجمعية للنظرة العالمية الإفريقية. إحدى القيم الراسخة للمجتمع الإفريقي هي جمعيته والتأكيد على الهوية الجمعية. لقد رأينا من قبل نظرة مبيتي Mbiti: "أنا موجود لأنني أنتمي لعائلة." وتتحدى هذه القيمة تأكيد النظرية المعرفية الليبرالية على الفرد كخالق الفهم. فنظرة: "أعلم لأننا نعلم" تتحدى نظرة "أعلم لأنني أفكر." وبطريقة تخالف البديهية، تقدم هذه الجمعية والتوجه التربوي انفتاحاً لتحقيق جدول الأعمال الإنساني العلماني الخاص بالعدل والسلام والتطور الاجتماعي. ويخاطب هذا الأمر الدوافع الطائفية للنظرة العالمية الإفريقية ولكن بإجابات لا تستخدم سوى القيم المادية فحسب.

أهمية الحاضر. سلّطت موفوكينج Mofokeng الضوء، أثناء عملها المتعلق بكنائس إفريقيا المستقلة، على الحاضر كقيمة إفريقية مميزة.²² ويركز العالم الروحي على الآن والفورية في حياتي. وينظر إليهما في الحاضر حيث يقدم الحاضر فوائد مباشرة مثل الشفاء والازدهار. فيصبح التركيز على هذه

Gregg A. Okesson, *Sacred and Secular*, 52.

21 Awald Shorter and Edwin Onyyancha, *The Church and AIDS in Africa, A Case Study: Nairobi City* (Nairobi: Pauline Press, 1998).

22 N. H. Ngada and K. E. Mofokeng, *African Christian Witness* (Pietermaritzburg: RSA Cluster, 2001), 15.

ديك سيد: العلمانية الغربية، وجهات النظر العالمية الأفريقية، والكنيسة الحياة بدلاً من الحياة التالية. وكذلك ينشغل جدول الأعمال العلماني بتحقيق الذات والرفاهية الحالية في حين أنه يستقطع مفاهيم الحياة الأخرى.

الرفاهية والازدهار الشخصي. إن الرفاهية والازدهار الشخصي أهداف هامة في الكثير من الديانات التقليدية. ويمكن أن يبرر المؤتمر الوطني الأفريقي ANC في جنوب أفريقيا التضحية بثور في تجمعات قومية كونه أمرًا ضروريًا لازدهار الدولة. ويلعب كل من العالم الروحي والأسلاف دورًا هامًا في تأكيد هذا الرخاء والازدهار. وتعدُّ العلمانية أيضًا، عند عرضها، بالإنجاز والنمو والابداع لكل من الفرد والبشرية بشكل عام.

الخاتمة

إن تحدي العلمانية الغربية للكنيسة الأفريقية ليس بسيطًا. وفي مواجهتها للكثير من الأمور، فإن العديد من جوانب وجهات النظر العالمية الأفريقية تتعارض مع القيم الإنسانية العلمانية. لكن هذا لا يعني أن وجهات النظر العالمية الأفريقية تلك لا تتأثر بهذه القيم الدخيلة. فالثقافات ووجهات النظر العالمية ليست جامدة. فهي تتفاعل مع الأفكار الجديدة، وبالتحديد عندما يكون هناك عنصرًا ذا أرض مشتركة بينهم ويُنظر له على أنه مفيدٌ. ورغم أن هناك العديد من الجوانب المتميزة في وجهات النظر العالمية الأفريقية، إلا أنها تحتوي على قيم مُفتحة للتعديل على يد جدول الأعمال العلماني. وعندما تتبنى وجهات النظر العالمية الأفريقية القيم العلمانية فلن تتركها دون أن تؤثر فيها لكنها سوف تُشكّلها وتُجندّها في جدول أعمال القيم الأفريقية. وهذا الأمر يمنح الكنيسة الفرصة لأن تُشرك نفسها في هذه العملية، وهي تحدي كل من القيم الأفريقية والعلمانية بقوة المسيح المُغيرة.

وتخاطب الكنيسة في أفريقيا ثقافتها بالإنجيل. ويضع هذا الإنجيل متطلباتٍ ما على جميع الثقافات، ولا يمكن لأي ثقافة أن تتواجد في انسجام بهيج معه. وتنتقد الكنيسة الفلاسفات العلمانية، ووجهات النظر العالمية الأفريقية التي تقدم فلسفة أكثر سهولة، بالإضافة إلى الطريقة التي تتفاعلان بها معًا في المجتمع الأفريقي، من خلال علمية مُتعمّدة من التقييم.

وبينما تتأمل الكنائس الأفريقية في تأثير العلمانية على المجتمع، فهي تحتاج لأن تكون ناقدة لتعليمها وممارستها. ولأجل هذا السبب فهي بحاجة لتعليم

لاهوت عن الله والإنسان والخليعة يسمح للمؤمن الافريقي من الوصول إلى النظام المخلوق من خلال الله وليس الوصول إلى الله من خلال النظام المخلوق. ويحافظ هذا المدخل على مركزية الثالوث في الخليعة، رغم العملية اللاروحانية للفهم والنمو العلمي للازدهار. وعلاوة على ذلك، ينبغي ان تكون الكنيسة قادرة على التعرف على سمات إرسالياتها والتي تميّزها عن هيئات التنمية العالمية. ومرة أخرى، هذه مهمة لاهوتية.